No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

# التجربة الدينية عند القديس اوغسطينوس

م. م آلاء سمير حاتم
جامعة ميسان
alaasameer@uomisan.edu.iq

ملخص البحث:
يتناول هذا البحث دراسة التجربة الدينية عند أوغسطينوس، بوصفها نموذجًا مميزًا للتحول الفكري والروحي من الشك إلى اليقين، ويهدف البحث إلى الكشف عن أهم المراحل التي مرّ بها في حياته، وتحليل التحولات الفكرية التي أسهمت في تشكيل رؤيته الفلسفية واللاهوتية.كما يناقش البحث تأثر أوغسطينوس ببعض التيارات الفكرية، مثل المانوية والأفلاطونية المحدثة، وكيف انتهى به الأمر إلى اعتناق المسيحية، التي وجد فيها الإطار المتكامل للإجابة عن تساؤلاته الوجودية، ويُبرز البحث موقفه من قضايا العناية الإلهية، ومشكلة الخير والشر، وعلاقة ذلك بحرية الإنسان ومسؤوليته.كذلك يتناول البحث نظرية المعرفة عند أوغسطينوس، ولا سيما نظرية الإشراق، التي تؤكد دور النور الإلهي في إدراك الحقائق، فضلًا عن استعراض أهم أدلته في إثبات وجود الله. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض أفكاره وتحليلها بالرجوع إلى بعض نصوصه، ولا سيما كتاب الاعترافات، إلى جانب عدد من الدراسات ذات الصلة. ويخلص البحث إلى أن تجربة أوغسطينوس تمثّل محاولة عميقة للتوفيق بين العقل والإيمان، وقد أسهمت في بناء رؤية فلسفية دينية متكاملة لا تزال ذات تأثير في الفكر الفلسفي والديني إلى اليوم.

**الكلمات المفتاحية:** اوغسطينوس، التجربة الدينية، الفلسفة، المعرفة، العقل.

# Religious Experience in Saint Augustine

Asst. lect. Alaa Samir Hatem
University of Maysan
alaasameer@uomisan.edu.iq

**Abstract :**
This research examines Augustine's religious experience as a unique model of intellectual and spiritual transformation from doubt to certainty. It aims to uncover the most important stages of his life and analyze the intellectual shifts that contributed to shaping his philosophical and theological worldview.The research also discusses Augustine's influences from certain intellectual currents ، such as Manichaeism and Neoplatonism ، and how he ultimately embraced Christianity ، finding in it a comprehensive framework for answering his existential questions. The research highlights his stance on issues of divine providence ، the problem of good and evil ، and their relationship to human freedom and responsibility.Furthermore ، the research explores Augustine's theory of knowledge ، particularly the theory of illumination ، which emphasizes the role of divine light in perceiving truths. It also reviews his most important arguments for the existence of Allah.The research employs a descriptive-analytical approach ، presenting and analyzing Augustine's ideas by referring to some of his texts ، especially the Book of Confessions ، along with several related studies. The research concludes that Augustine's experience represents a profound attempt to reconcile reason and faith ، and contributed to the

development of a comprehensive philosophical and religious vision that continues to influence philosophical and religious thought today.

**Keywords:** Augustine ، religious experience ، philosophy ، knowledge ، reason.

المقدمة

تُعدّ التجربة الدينية من أبرز القضايا التي شغلت الفكر الفلسفي عبر العصور، لما لها من ارتباط وثيق بحياة الإنسان وسعيه الدائم نحو الحقيقة والمعرفة. ويُعدّ أوغسطينوس من أهم الفلاسفة واللاهوتيين الذين تناولوا هذه القضية بعمق، إذ مثّلت حياته نموذجًا مميزًا للتحول من الشك والاضطراب إلى اليقين والإيمان، من خلال رحلة فكرية وروحية غنية بالتجارب والتحولات.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلّط الضوء على فكر أوغسطينوس، الذي أسهم في بناء رؤية فلسفية لاهوتية متكاملة جمعت بين العقل والإيمان، كما يعالج قضايا فلسفية جوهرية، مثل العناية الإلهية، ومشكلة الخير والشر، وطبيعة المعرفة الإنسانية، وهي من القضايا التي لا تزال تحظى باهتمام واسع في الدراسات الفلسفية والدينية.

وقد جاء اختيار هذا الموضوع انطلاقًا من أهمية التجربة الفكرية والدينية التي مرّ بها أوغسطينوس، والتي تمثّل نموذجًا حيًا لصراع الإنسان بين الشك واليقين، فضلًا عن رغبة الباحثة في التعمق في دراسة هذا الفكر لما يتضمنه من أبعاد فلسفية وروحية عميقة. كما يعود سبب اختيار هذا البحث إلى الحاجة إلى تقديم دراسة تحليلية تُبرز معالم هذا الفكر وتكشف عن قيمته في التوفيق بين العقل والإيمان.

وقد اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض أفكار أوغسطينوس وتحليلها، والرجوع إلى نصوصه الأصلية، ولا سيما ما ورد في كتاب الاعترافات، فضلًا عن الاستعانة ببعض الدراسات ذات الصلة.

ويقتصر نطاق هذا البحث على دراسة التجربة الدينية والفكر الفلسفي عند أوغسطينوس، مع التركيز على أبرز القضايا التي تناولها، مثل التحولات الفكرية، والعناية الإلهية، ومشكلة الخير والشر، ونظرية المعرفة وإثبات وجود الله، دون التوسع في دراسة تأثيراته في العصور اللاحقة إلا بالقدر الذي يخدم موضوع البحث.

المبحث الأول : حياة اوغسطينوس وتجربته الدينية

المطلب الأول: نشأته وحياته

ولد اوغسطينوس في طاغشت في منتصف القرن الرابع الميلادي(٣٥٤م)، بالجزائر، درس بمدرسة مدينته ثم انتقل منها إلى بعض المدن الأخرى مثل قرطاج التي تعلم فيها الأدب والخطابة، ونشأ في بيئة جمعت بين الوثنية والمسيحية، إذ كان والده وثنياً، بينما كانت أمه مسيحية متدينة حرصت على تربيته تربية دينية (زيعور، ١٩٨٣، ص. ١٠٠)، نشأته أمه على حب المسيحية منذ صغره كان ذكاءه واضحاً في فترة شبابه فسجلت أمه اسمه في عداد المرشحين للعماد ونشأته على محبه المسيح وفي سن التاسع عشر افتتح مدرسة لتعلم البيان في ذلك الوقت، قدم كتبا للشيشرون اسمه هورطانسيوس وقد ضاع فيما بعد (عويضة، ١٩٩٣، ص٢٩)، فقد كان اوغسطينوس رجلًا مرهف الإحساس، يجمع في شخصيته مجموعة من الصفات المتناقضة؛ فكان تارةً يتأمل في الكون ويحلّق بفكره، وتارةً أخرى يعود إلى ذاته منشغلًا ببدنه وإشباع ميوله الحسية. كما كان متأثرًا بالأدب اللاتيني، إلا أن قراءته للكتاب المقدس لم تعجبه من الناحية اللغوية، نظرًا لتعلقه بأسلوب الأدب اللاتيني الرفيع. وقد ظل في تلك المرحلة متعلقًا بالدنيا ومتاعها، ولم تؤثر فيه مبادئ الكتاب المقدس بشكل عميق (كرم، د.ت.، ص٢٥)، وقد تلقى تعلمه الأولي في مدينته، ثم انتقل إلى قرطاج حيث درس الأدب والبلاغة، وتأثر بالأدب اللاتيني وخاصة شيشرون، الذي أيقظ فيه حب الفلسفة والبحث عن الحقيقة.

وهذا كان بفضل والده الذي أجبره على تعلم اليونانية وبفضله اتقن اللاتينية وتعلم فن الخطابة في مكان دراسته من جانب آخر فإنَّ اوغسطينوس ذكر في كتابه الاعترافات أن ما كان يبعده من الدراسة هو النقص المادي الذي كان والد اوغسطينوس فقيراً، لم يبق احدا الا واثنى عليه وتحمل في سبيل ولده فوق طاقته نفقات الدراسة والأسفار والمعيشة وفي السادسة عشر من عمري عجز والدي من سد النفقات المرتبة على فاضطررت إلى مغادرة المدرسة (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٣٦–٣٧) وقد تميز

اوغسطينوس منذ صغره بذكاء واضح، إلا أنه عاش في شبابه صراعاً بين نزعاته الحسية وتطلعه نحو المعرفة فيقول "أواه من الفساد ومن الحياة انقلبت راسا على عقب واسفاه على الموت الذي ابتلعني في كنبه! وهل طاب بالي فل الحرام لأنَّه حرام ؟" (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٣٧).

المطلب الثاني: التجربة النفسية والدينية

عاش اوغسطينوس في شبابه حياة مضطربة اتسمت بالانغماس في الشهوات والبحث عن اللذة، وقد عبّر عن ذلك في كتابه الاعترافات، "وماذا أحببتُ إذن في تلك السرقة؟ وكيف اقتضيت آثار سيدي زورا وبهتانا؟ هل وجدت لي في نقص شريعتك خلسة؟ لأنّي عجزت عنها عنوه وها قد تجاهلت وأنا العبد حريتي المنقوصة فأتيت ما لا يحق لي مؤامرة سافرة ضدك أيها الكلي القدرة" (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٣٧)، حيث وصف كيف كانت ميوله الحسية تحجب عنه رؤية الحقيقة. ومع ذلك، لم يجد في هذه الحياة الطمأنينة، فبدأ يبحث عن الحقيقة من خلال الفلسفة والذين. حيث أوصته أمه الا يدنس عرض امرأة متزوجه ولا يرتكب الفحشاء وخيل إلى هذه الأقوال تعدو إلى أن تكون نصائح امرأة ومن العار أن لا يعمل بها فاندفع في اللغوية اندفاع أعمى ثم استقر على اتخاذ خليله له و وجد نفسه عام ٣٨٢ وهو لا يزال في الثامنة عشر من عمره أن اصبح أباً لولد ذكر اسمه خطيئتي تارة وعطيه الله تارة اخرى. أمَّا من حيث نموه العقلي فقد طاف بكثير من المذاهب الفلسفية (جلسون، ١٩٩٦، ص٦٣).

وعلى الرغم من قراءته للكتاب المقدس، إلا أنه لم يقتنع به في البداية بسبب أسلوبه، لكنه لاحقاً أدرك عمقه الروحي.

المطلب الثالث: أهم مؤلفاته

من أهم مؤلفات اوغسطينوس كتاب الاعترافات الذي عرض فيه تجربته الروحية وتحوله من حياة الضياع إلى الإيمان، وكتاب في الدين الحق.

كتب اوغسطينوس العديد من المحاورات، من بينها: الرد على الأكاديميين، في النظام، في الحياة السعيدة، محاورة المناجاة، وفي خلود النفس. ومن أهم مؤلفاته الاعترافات: وهي ثلاثة عشر كتابا وهي ليس صك اتهام ضد نفسه بقدر ما هي شهادة حَيِّة تنطق بجود الله أو اصلاحه ومحبته والتعرف بفضله التي تمثل تحوله من المانوية الوثنية إلى المسيحية، وقد عايش خلالها تحولات نفسية كبيرة جعلته يعيش حالة اغتراب داخلي، يبحث عن خلاص من محبة الذات إلى سبيل المحبة الإلهية الحقيقية التي لا غبار عليها من الناحية الإيمانية، كما كتب اوغسطينوس مؤلفات دينية أخرى أثناء تواجده في روما مثل في الذين الحق وأخلاق النصارى وأخلاق المانويين (طرابيشي، ٢٠٠٦، ص١٢٠).

والثالوث الاقدس الذي تناول فيه طبيعة الله، يلحظ ان هذا الكتاب لم يجمع واكتمل الا بعد وفاه القديس اوغسطينوس وذلك مدينة٤٠٠م لعالج المعتقد المسيحي الذي يتمثل بالثالوث او التثليث الاقدس ضمن التصور المسيحي الكاثوليكي اي ان الكتاب يدرس التصور المسيحي الذي يشخص الرب في ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدسية مميزة ومختلفة ومتساوية ومنصهرة في طبيعة واحدة الحلولية غير منقسمة لوحده الوجود (المشرفي، د.ت.، ص١٠٢–١٠٣)، كتاب مدينة الله، الذي كتب فيه ردًا على الوثنيين ويدافع عن المسيحية المتهمة بأنها سبب سقوط روما أو لعنة على الرومانيين. وأوضح اوغسطينوس في هذا الكتاب أن الإمبراطورية الرومانية هي في النهاية مدينة أرضية زائلة، أما المدينة الحقيقية فهي مدينة المؤمنين المسيحية التي تهزم محبة الشيطان كما يبشر اوغسطينوس في مدينة الله بحياة أبدية، متماشيًا مع الدعوة المسيحية لمحبة المسيح والتمسك به والعمل خوفًا من الرب من أجل الحياة الأبدية (أوغسطينوس، د.ت.، ص٩).

المبحث الثاني : التحولات الفكرية عند اوغسطينوس

المطلب الأول: المرحلة المانوية

انضم اوغسطينوس إلى المانوية في سن التاسعة عشرة، حيث وجد فيها تفسيراً لمشكلة الشر، إذ تقوم على مبدأ الثنائية بين النور والظلمة، وقد انجذب إليها لأنها قدمت تفسيرات عقلية وأرضت ميوله الفكرية.

ففي مرحلة من حياته، تأثر بالفكر المانوي واعتنق المانوية، حيث انعكس هذا التصور على فهمه لإشكالية الخير والشر، إلا أنه سرعان ما عدل عن هذا الموقف، ليتجه لاحقًا نحو التفسير المسيحي بعد اعتناقه المسيحية، وخلال انتقاله بين هاتين المرحلتين، أبدى ميلًا واضحًا إلى الفلسفة، مما أتاح له الاطلاع على

مختلف المذاهب والتيارات الفكرية، ومن هنا، تعامل مع إشكالية الخير والشر بوصفها قضية لا تقتصر على البعد الديني فحسب، بل تمتد إلى المجال الفلسفي، فسعى إلى دراستها ومعالجتها ضمن رؤية تجمع بين البعدين الفلسفي والديني، ويرى ماني أن العالم قائم على مبدأين أزليين: النور والظلمة، وهما منفصلان ومتقابلان. فالنور هو الإله، والظلمة مصدر الشر، ومن عناصرها نشأ الشيطان الذي حاول مهاجمة عالم النور. لذلك خُلق "الإنسان القديم" لقتاله، متسلحًا بالعناصر الخمسة (النسيم، الريح، النور، الماء، النار) (نغرين، ١٩٩٥، ص ٢٥٧ــ٢٥٨).

المطلب الثاني: نقد المانوية والتخلي عنها

لم يستمر اوغسطينوس في المانوية طويلاً، إذ بدأ يشك في تعاليمها بعد أن اكتشف ضعفها وعدم قدرتها على الإجابة عن الأسئلة الفلسفية العميقة، خاصة بعد اطلاعه على آراء الفلاسفة. فابتعد عنها تدريجياً.

تعرّف اوغسطينوس على الثقافة المسيحية في مرحلة متأخرة من حياته، وكان ذلك على يد أمبروزيوس، وقد بدت له المسيحية في البداية مذهبًا يقوم على مفاهيم الخطيئة والمحبة والرحمة، ثم تطوّر فهمه لها لتظهر بوصفها تصورًا كليًا يتمثل في فكرة الكنيسة الأبدية التي تبدأ بآدم وتنتهي بملكوت الله، كما نظر إليها لاحقًا باعتبارها مسارًا تصاعديًا للإنسان الروحي، حيث تضع قيماً متدرجة ترتقي بالإنسان في حياته حتى يبلغ أعلى مراتب الكمال في ملكوت الله (بدوي، ١٩٦٩، ص١٧)، اذ تقوم المانوية على فكرة الوجود الثنائي، أي أن للكون أصلاً مزدوجًا هو النور والظلمة، وقد اعتنق اوغسطينوس هذا المذهب في سن التاسعة عشرة، حيث كان المتبعون يقدمون ألف برهان على الكتب المقدسة باستخدام دلائل عقلية واستدلالات منهجية، وهو ما جذب تفكيره الباحث عن توازن بين العقل والإيمان فيقول في كتابه الاعترافات، طوال تلك السنوات التسع الممتدة بين التاسعة عشر والثامنة والعشرين من عمري كنا فريسة لشهوات مختلفة كنا نغري الناس بغرورنا ونخدعهم ويخدعوننا تارة علناً بواسطة العلوم الحرة وطوراً سراً تحت شعائر الذين الكاذبة (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٩٣).

ونجد في كتابه الاعترافات أيضاً أنَّه اشمئز من الديانة المانوية بإسقاط العقيدة الكاذبة التي اختبرها فيذكر حين اراد الاشتراك في مبادرة شعرية فأعرض عليه أحد المتحمسين مبلغاً من المال حين فوزه على أقرانه فأجابه ((لعنة الله على هذه العقول المخجلة فأنني أكرهها ولن أضحي البتة بذبابة واحدة في سبيل النجاح ولو كانت كنزا أكليلاً ذهباً خالداً) (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص١٢٥).

وسرعان ماتخلي اوغسطينوس عن المانوية "وكنتُ أحبّ السلام في الفضيلة، وأبغض النزاع في الفساد، وكنت أرى تارة وحدة وتارة انقسامًا. وكنت أظن أن تلك الوحدة هي النفس، وأن الخير الأسمى طبيعة لا جسم لها، بل حياة حقيقية... وكنت أسمّي الأول موناد (Monad)، وأسمّي الآخر دياد (Dyad)... ولم أكن أعلم ما أقول، إذ لم أكن أعلم أن الشر ليس جوهرًا، وأن نفوسنا ليست هي الخير الأسمى الذي لا يتغير." (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص. ١١٤)، بعدما اكتشف عجزها عن الإجابة عن كثير من التساؤلات الفلسفية، وقد قارَن أقوال الفلاسفة بما جاء به المانويين من خرافات، فخلص إلى أن وجهة نظر الفلاسفة أصدق وأدق، وفضّلها على التعاليم المانوية (نغرين، ١٩٩٥، ص١٢٦).

المطلب الثالث: التأثر بالأفلاطونية المحدثة

تأثر اوغسطينوس بالأفلاطونية المحدثة التي ساعدته على فهم البعد الروحي للوجود، ومهدت له طريق العودة إلى المسيحية، حيث وجد فيها انسجاماً بين العقل والإيمان.

ساعدت الافلاطونية المحدثة على إظهار التعاليم المسيحية الموجودة عند اوغسطينوس ولما كان اوغسطينوس في عمر التاسع والعشرين حضر إلى مدينة قرطاج أسقف مانوي ذائع الصيت يدعى (فاستوس)حيث يقول اوغسطينوس في كتابه: كان في قرطاج اسقف مانوي اسمه فوستوس وكان أحبولةٌ شيطانيه فاستمال إليه الكثير بفصاحته ومع أنني اعجبت ببيانه فقد عرفت ان اميز بينه وبين الحقائق التي اتوق اليها ولدا لم اكترث للقالب الذي يصوغ فيه الخطابة بل وجهت جل اهتمامي إلى الغذاء العلمي الذي يقدمه لعقلي ولا سيما بعد ان داع صيته وعلمت أنَّه متعمق بجميع العلوم الشريفة والمعارف الحرة (نغرين، ١٩٩٥، ص١٢٥) اذ لعبت الأفلاطونية القديمة والمحدثة دورًا مهمًا في رحلة اهتداء اوغسطينوس، ووفرت له أدوات فكرية وروحية للبحث عن الحقائق العليا، ومهدت الطريق لفهم المسيحية بعمق أكبر، لتصبح النقطة النهائية لمسار بحثه عن اليقين والخلاص الروحي (محمد، ٢٠١٣، ص١٥٤)،

لعل اوغسطينوس شخصية من شخصيات معلمي الكنيسة الغربية لم تثر من الأعجاب الذي لا حد له والنقد الذي لا حد له أيضاً كما أثارت شخصية اوغسطينوس ومذهبه فقد كان اوغسطينوس لاهوتياً منقطع النظير ومدافعاً عنيداً عن العقيدة المسيحية، وفيلسوفاً وأخلاقياً و فوق هذا كله يبدو معاصراً لكلّ الأجيال وحياً في كلّ العصور التي تلته وكان مذهبه يقوم على التوفيق بين المسيحية والافلاطونية وكان يبرهن على وجود الله ويقوم بالإشراق الذي يكشف الحجب وبالإتحاد الذي يربط العبد بربه (ماثيوز، ٢٠١٣، ص٩).

وتتميّز الأفلاطونية المحدثة بأبعادها الروحية المتعالية، الأمر الذي جعل العديد من الفلاسفة يربطون تعاليمها بالمسيحية، وفي مقدمتهم أوغسطينوس. فقد اطّلع على كتب الأفلاطونية المحدثة، وتحدّث عنها بإعجاب كبير، إلا أنه لم يذكر صراحة أسماء الفلاسفة الذين أثّروا فيه، ولا شك في أنه كان يشير إلى أفلاطون، الذي كان له دور بارز في توجيه إعجابه بالأفلاطونية المحدثة. ويُعدّ العامل الأساسي في هذا الإعجاب هو ما تتسم به هذه الفلسفة من نزعة عقلية وروحية، إذ رأى أنها تتوافق إلى حدّ كبير مع العقائد المسيحية، ومن ثمّ، أخذ أوغسطينوس العديد من أفكار الأفلاطونية المحدثة، بعد أن قام بتنقيحها وتكييفها بما يتلاءم مع الفكر المسيحي، وكان من أبرز ما أفاد منه تأكيدها على الجانب الروحي (مزواد، ٢٠١٢، ص١٨).

المبحث الثالث : العناية الإلهية ومشكلة الخير والشر

المطلب الأول: العناية الإلهية

يرى اوغسطينوس أن الله هو المدبر لكل شيء في الكون، وأن العناية الإلهية تشمل جميع الموجودات، وأن كل ما يحدث يتم وفق حكمة إلهية.

وتعني في اللُّغة الاهتمام بالشيء وحفظه والقيام بأمره (ابن منظور، د.ت.، ص. ٨٩) وفي الجانب الديني، يظهر اتصال الله بالعبد وخلقه من خلال العناية الإلهية، حيث يوجّههم نحو ما يخص حياتهم الروحية والدنيوية. ويعدّ هذا الاتصال جزءًا من تدبيره الكوني، ويتجسّد في النصوص المقدسة التي توضح كيف أن الله يمد الإنسان بالوجود ويحفظه من كل سوء، وهو ما يعكس سيادة الله على مخلوقاته في شؤونهم الدنيوية والدينية (الحلاق، ٢٠١٤، ص٥٧).

يرى اوغسطينوس أن الإنسان كائن عاقل مركّب من نفس وجسد، وأن الله لا يترك الإثم دون عقاب ولا الضعف دون رحمة بعد خطيئة الإنسان. فهو الذي يمنح الكينونة لجميع الموجودات، إذ يهب النبات الحياة النباتية، والحيوان الحياة الحسّية، ويخصّ الإنسان والملائكة بالحياة العقلية، كما يُعدّ الله مبدأ كل نظام وجمال وقياس وعدد، وأصل كل تكوين طبيعي، مهما كان نوعه أو قدره؛ فهو خالق الأجسام بما فيها من جمال وقوة وتناسق، حيث رتّب أعضاءها ونسّق بينها ومنحها القدرة. وهو أيضًا الذي وهب النفس غير العاقلة الذاكرة والحسّ، ووهب النفس العاقلة العقل والحرية، وقد بلور القديس اوغسطينوس مفهوم العناية الإلهية في المسيحية، مؤكّدًا أن قدرة الله تتجلى في كل ما يحدث في العالم. فالتاريخ الإنساني ليس سلسلة أحداث عشوائية، بل كل حادثة وكل فعل يشكل جزءًا من الخطة الإلهية الشاملة. وعلى الرغم من حرية الإنسان، فإن حياته وسلوكياته تقع ضمن إطار حكمة الله، وفهم هذه العناية لا يتم إلا بالإيمان والوعي الروحي، بذلك، توسع مفهوم العناية من حدود الشعب المختار عند اليهودية إلى شمولية لجميع البشر في المسيحية، مظهرًا قدرة الله وحكمته في توجيه التاريخ والإنسان نحو الخير والعدل والارتقاء الروحي (صبحي، ١٩٧٥، ص١٦٧).

ولا تقتصر عناية الله على الموجودات الكبرى فحسب، بل تمتد لتشمل أدقّ التفاصيل في الكون؛ فهو يرعى السماء والأرض، والملائكة والإنسان، ولا يترك شيئًا حتى التركيب الداخلي لأصغر حشرة، أو ريش الطير، أو أوراق الأشجار إلا وقد أودع فيه التناسب والوحدة الدقيقة بين أجزائه. فكيف يُتصوَّر، والحال هذه، أن يترك ممالك البشر ورؤساءهم وخدمهم خارج نطاق عنايته (أوغسطينوس، د.ت.، ص٢٣٩).

المطلب الثاني: الخير والشر

أولاً: الخير

No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

منذ العصور القديمة، أدرك الإنسان أهمية القيم الأخلاقية، فسعى إلى تحقيق الخير وتجنب الشر، وقد تناول الفلاسفة وعلماء الأخلاق هذه القيم بوصفها جزءًا من كفاحٍ إنساني مستمر نحو الفضيلة. وانصبّ اهتمامهم على فهم طبيعة الخير والبحث عن سبل تحقيقه، لما له من أثرٍ أساسي في توجيه سلوك الإنسان وتنظيم حياته، وأنه اسم تفضيل يدل على ما هو حسن لذاته، وعلى ما يشتمل من نفعٍ أو لذّةٍ أو سعادة (صليبيا، د.ت.، ص٥٤٨)، يمكن تعريف الخير بأنه: أن يجد كل شيء كماله اللائق به، في حين يُعدّ الشر فقدانًا لهذا الكمال. ومن هذا المنطلق، يتبيّن أن الشر يمثل نقصًا، بينما يعبر الخير عن الكمال؛ فالشيء الكامل يُعدّ خيرًا، وما يعتريه النقص يُعدّ شرًّا، والله كامل، فهو خير مطلق ويُعدّ الخير مبدأً أساسيًا ومعيارًا تقوم عليه الأخلاق، إذ يُشكّل الأساس الذي تُبنى عليه جميع القيم الأخلاقية، كونه المقياس الذي يُحكَم به على أفعال الإنسان في الماضي والمستقبل (سعيد، د.ت.، ص١٨٧–١٨٨).

وبناءً على ذلك، يُستخدم الخير كأداة لتمييز الأفعال؛ فما يترتب عليه نفع أو فائدة يُعدّ فعلًا أخلاقيًا، أما ما يؤدي إلى الضرر أو الشر فيُعدّ فعلًا غير أخلاقي، ويجب اجتنابه والسعي إلى محاربته والقضاء عليه في أقرب وقت.

ومن جهة أخرى، يقدم القديس اوغسطينوس رؤية مميزة للخير والشر، حيث يرى أن: "الوجود هو الخير، والخير هو الوجود، أما الشر فلا وجود له إيجابيًا، بل هو مجرد نقص في الخير" (عويضة، ١٩٩٣، ص٣٩).

وبمعنى آخر، الخير يشمل كل ما هو موجود، فهو مرتبط بالوجود ذاته، بينما الشر يُعَدّ غيابًا للخير وليس له وجود مستقل، ومن هذا المنطلق، يعتبر اوغسطينوس أن الله هو موجد الخير، أما الشر فينشأ من اختيار الإنسان وإرادته الحرة، وليس من الله.

حسب رأيه" فإن الله خلق الكائنات العاقلة خيرة بطبيعتها، بما في ذلك الشيطان، ومنحها حرية الإرادة، هي المسؤولة عن كيفية استعمالها لحريتها (عويضة، ١٩٩٣، ص٤٠).

أي بمعنى أن جميع الكائنات العاقلة خُلقت خيرة بطبيعتها، بما في ذلك الشيطان، وقد منحها الله حرية الإرادة، وبذلك، يصبح الخير فطريًا ومرتبطًا بخلق الله، بينما ينشأ الشر من اختيار الكائنات الحرة وليس من الله نفسه، ومن هذا المنطلق، يُعتبر الشر غيابًا للخير أو نقصًا فيه، وليس وجودًا مستقلاً.

وفقًا لاوغسطينوس، الله حاضر في النفس الإنسانية، وهو الحياة فيها، إذ يمنحها الحيوية وينفخ فيها الفضائل، التي تُعد الفصيلة الخالدة الأبديّة، فالله هو مصدر كل شيء وكل خير، وقد خلق الإنسان بقدرة إرادة حرة، لكنها مرتبطة دائمًا بالخير الأسمى، لتكون أفعال الإنسان متوافقة مع الخيرية المطلقة لله (زيعور، ١٩٨٣، ص١٧٥)، يرى اوغسطينوس أنّ الإنسان مركب من نفسٍ وجسد، مع تمايز قيمي يمنح الأفضلية للنفس بوصفها أشرف، مقابل الجسد الأدنى لارتباطه بالنقص والألم، ومن ثمّ، يتحدد الخير الأسمى للإنسان في النفس، ويتحقق كمالها في الحكمة باعتبارها غايتها القصوى، في حين يرتبط الشر بالجسد ويظهر في الألم بوصفه أبرز مظاهر فنائه، وعليه يغدو الإنسان كائنًا وسيطًا بين بعدٍ مادي يتصل بالمعاناة، وبعدٍ روحي يتجه نحو الحكمة والكمال (أوغسطينوس، ٢٠٠٥، ص٣٤).

إنّ ما يعتقده اوغسطينوس هو أنّ الخير موجود بفعلٍ من الله، وهو باقٍ إلى غاية فناء العالم والحياة، لكونه طبيعةً إلهية. "فالخير هو القانون الإلهي الأزلي، أي النظام العام الصادر عن الله، وهو يتمثل في مطابقة هذا النظام واحترام القانون، أو مبدأ الطبيعة" (كحول، ٢٠٢١، ص١٤)، المقصود من النص أن الخير موجود بإرادة الله وليس صدفة، وهو باقٍ طوال عمر العالم والحياة لأنه جزء من الطبيعة الإلهية، والشرط الأساسي لصلاح الإنسان هو الالتزام بالقانون الإلهي الأزلي الذي يمثل النظام العام الصادر عن الله، أي أن الإنسان يصبح صالحًا عندما يطابق هذا النظام ويحترم المبادئ الطبيعية الإلهية، ويربط اوغسطينوس الخير بالله كمصدر متعالي، بينما ينشأ الشر من سوء استعمال إرادة الإنسان الحرة، خلق الله الإنسان بطبيعة خيرة، لكن خطيئة آدم حولتها إلى طبيعة فاسدة (بدوي، ١٩٨٤، ص٢٥١).

المطلب الثالث: الحرية والخطيئة

يُعتبر «أوغسطين»أول من استخدم مصطلح "الخطيئة الأصلية"، مقدمًا تفسيرًا متكاملاً لجوانبها العقدية من خلال الاعتماد على رسائل بولس. ورغم وجود مجموعة من التفسيرات المسيحية في بدايات القرون

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الأولى، كما هو الشأن بالنسبة لـ "إيريناوس" (١٣٠-٢٠٠م) أسقف ليون، إلا أن القبول وأخذ الشرعية من طرف الكنيسة كانا من نصيب «أوغسطين (اليحياوي، ٢٠١٥، ص٢٣).

اعتمد أوغسطين كركيزة في تبني هذه العقيدة على ما كتبه بولس في رسالته إلى أهل رومية، وتحديدًا نص الإصحاح الخامس: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إلى العالم، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الجميع" (الكتاب المقدس، إرميا ٥:١٢).

يرى اوغسطينوس أن الإنسان يمتلك حرية الإرادة، لكنه قد يسيء استخدامها، مما يؤدي إلى وقوعه في الشر. كما أن خطيئة آدم كانت سبباً في فساد الطبيعة الإنسانية، ولذلك يحتاج الإنسان إلى العناية الإلهية.

ففي فلسفة اوغسطينوس، يعتبر اللطف الإلهي عنصرًا جوهريًا في علاقة الإنسان بالخير والشر، فبالرغم من حرية الإنسان في اختيار الخير أو الشر، وإن طبيعة الإنسان بعد الخطيئة أصبحت بحاجة إلى تدخل الله لإعادتها إلى كمالها. وفي هذا الإطار، يصبح اللطف الإلهي شرطًا أساسيًا لتحقيق النجاة والرجوع إلى الخير" حصول الإنسان على اللطف الإلهي شرط ضروري لنجاته، ولا يناله الإنسان بأعماله، وإلا لما كان فضلاً ولطفًا إلهيًا، بل جزاء وفاقاً" (بدوي، ١٩٨٤، ص٢٥٢) وبما أن الخطيئة هي مصدر الشر، "فإن الشر كما يقول اوغسطينوس لا وجود له واقعيًا في هذه الحياة، وإنما هو مجرد غياب للخير أو نقص في الكمال، وهو في الأصل قيمة لتمييز (التلوع، ١٩٩٥، ص١١١).

يظهر في ما سبق تركيز اوغسطينوس على العلاقة بين الخير، الشر، والحرية الإنسانية فالخير مطلق ومصدره الله، بينما الشر ناتج عن سوء استعمال إرادة الإنسان. فكرة الكمال مرتبطة بالخير، ولكن نقص الإنسان يمنعه من إدراك الكمال المطلق، ما يجعل اللطف الإلهي شرطًا ضروريًا لتجاوز الشر وتحقيق النجاة. كما يبرز النص إشكالية فلسفية مركزية إثبات وجود الله ضمن إطار الخير والشر، وهو السؤال الذي حاول اوغسطينوس الإجابة عليه من خلال ربط الطبيعة الخيرة للإنسان، الحرية، واللطف الإلهي.

أولاً: مفهوم الشر

يُعدّ الشر من المفاهيم الشائعة في حياة الإنسان، إذ يبدو ملازمًا لوجوده ومحيطًا به في مختلف الظروف، غير أن هذا المفهوم ليس بسيطًا، بل هو إشكالية فلسفية عميقة ومركّبة تناولها الفلاسفة عبر العصور.

ويُعرَّف الشر في المعاجم الفلسفية بأنه السوء والفساد، ويرتبط بالانحراف عن الخير وكل ما يُحدث خللًا في النظام الأخلاقي أو الطبيعي (صليبيا، د.ت.، ص٦٩٥) ومن هنا، فإن الشر ليس ظاهرة سطحية، بل مفهوم يستدعي دراسة أعمق لفهم طبيعته وأسبابه، يُعبّر اوغسطينوس في كتابه الاعترافات عن حيرته السابقة إزاء مسألة الشر، إذ كان يُساق إلى مجادلة بعض المنكرين الذين يطرحون تساؤلات سطحية حول طبيعة الإله، كتصوّره في صورة جسدية أو نسبته إلى صفات مادية، وقد ازداد اضطرابه نتيجة عجزه عن الرد على هذه التساؤلات، فكان يظن أنه يقترب من الحقيقة، بينما هو في الواقع بعيد عنها.

ويُقرّ اوغسطينوس بأنه لم يكن يدرك آنذاك أن الشر ليس كيانًا قائمًا بذاته، بل هو فقدان للخير إلى حدّ الانعدام، كما لم يكن يفهم أن الله روح منزّه عن الصفات المادية، فلا يُقاس بالأبعاد ولا تحكمه الحدود. ويرجع ذلك إلى قصور إدراكه، إذ كانت معرفته مقتصرة على المحسوسات، في حين أن الحقائق الإلهية تُدرك بالعقل لا بالحس (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٨٠–٨١)

حيث ان مسألة الغاية المنشودة من الخير والشر من القضايا التي أثارت جدلًا طويلًا بين الفلاسفة، إذ انصبّ اهتمامهم على تحديد ما يجعل الإنسان سعيدًا على نحوٍ حقيقي. فالغاية من الخير هي ما ينبغي على الإنسان أن يسعى إليه بكليّته، لأنه يحقق له الكمال ويقوده إلى السعادة، لا باعتباره أمرًا مؤقتًا، بل بوصفه غاية في ذاته، في المقابل تمثل الغاية من الشر ما يجب على الإنسان أن يتجنبه بذاته، لأنه لا يحقق له الكمال، بل يعيقه عن بلوغ غايته القصوى. ومن ثمّ، فإن الخير هو ما يُكمل الإنسان ويرتقي به، في حين أن الشر هو ما يضرّه ويحول دون وصوله إلى تمامه وعلى هذا الأساس، تتحدد الغايتان الأسمى في حياة الإنسان: الخير الأسمى الذي يقود إلى الكمال، والشر الأسمى الذي ينبغي اجتنابه لما فيه من أذى وإبعاد عن تلك الغاية (أوغسطينوس، د.ت.، ج. ٣، ص١٠٢–١٠٣).

"يرى اوغسطينوس أن أصل الشرور في العالم يعود إلى خطيئة آدم، إذ ترتب عليها عقاب إلهي عادل جعل الإنسان سببًا في دخول الشر إلى الوجود، فأضحى خاضعًا للموت والخطيئة، بعد أن فسدت طبيعته

الخيّرة التي فُطر عليه فيقول "لأننا بحكم عذاب الخطيئة العادل، نُرى ضعفاء، محكومًا علينا بالموت، ويطاردنا ألفُ حادث وحادث" (أوغسطينوس، د.ت.، ج. ٢، ص٣٥)

فاوغسطينوس يرى أن الشر ليس كيانًا قائمًا بحد ذاته، بل هو نتيجة لنقص في الكمال أو غياب الخير. لذلك، فهو ليس فطريًا في الإنسان منذ ولادته، وإنما يكتسبه بفعل الفساد ومن خلال وجود الشر يمكن للإنسان إدراك الخير والتمييز بين الأفعال الخيرة والشريرة "فالشر إذن ليس له وجود إلا بالنسبة إلى الخير الموجود، فالشر المطلق أو الخالص لا وجود له عند اوغسطينوس، أما الخير الذي لا يوجد معه شر فهو خير أسمى، وهذا هو وجود الخالق (التلوع، ١٩٩٥، ص١١١).

المبحث الرابع : المعرفة وإثبات وجود الله

المطلب الأول: نظرية الإشراق

يرى اوغسطينوس أن المعرفة الحقيقية لا تتحقق بالحواس فقط، بل تحتاج إلى نور إلهي يضيء العقل، فالله هو مصدر الحقيقة.

يستعين اوغسطينوس بالأفلاطونية المحدثة في وضع نظرية الإشراق، التي تقوم على كشف حقائق الأشياء بنور داخلي واتصال مباشر بالموضوعات دون وساطة. هذا النور الداخلي هو الله في صورة معلم داخلي مستقر في كل نفس إنسانية (حنفي، ١٩٧٨، ص١١–١٢).

فإدراك النفس للحقائق يشبه إدراك العين للأشياء؛ فكما تحتاج العين إلى النور لتبصر الأشياء، تحتاج النفس إلى نور داخلي لتدرك الحقائق " إدراك النفس للحقائق لابد لها من إشراق نور عليها، وكما أن الشمس هي مصدر النور المادي الذي يجعل الأجسام مرئية، فإن الله هو مصدر النور الذي يجعل الحقائق العقلية مبصرة للعقل. فالله بالنسبة لعقلنا كالشمس بالنسبة لبصرنا، وكما أن الشمس مصدر النور، كذلك الله مصدر الحقيقة" (بدوي، ١٩٨٤، ج. ١، ص٢٥٠).

فتعد نظرية الإشراق عند اوغسطينوس أكثر من مجرد وسيلة للمعرفة؛ فهي أيضًا سبيل لتحقيق السعادة. فالمعرفة الحقة تتحقق من خلال إدراك الحقائق الأزلية بواسطة المعلم الداخلي، الذي هو الله، إذ يكشف الله عن ذاته في النفس، ومن خلال هذا الإدراك تتحقق السعادة الحقيقية، حيث يغمر النور الإلهي النفس بالفرح والسكينة (حنفي، ١٩٧٨، ص٢٧–٢٨) وقد عبّر اوغسطينوس عن هذه الحقيقة في دعائه قائلاً: 'اللهم يا أبا الحقيقة والحكمة والحياة الحقيقية والفضل، ويا أبا السعادة والخير والجمال والنور المدرك، أيها الأب يا من بك وحدك نستيقظ ونستنير، يا أبا يحذرنا ويضمن عودتنا إليه.' فهذا الدعاء يوضح العلاقة الحية بين المعرفة، الإشراق الإلهي، والسعادة الروحية التي تتحقق من خلال نور الله الداخلي." (أوغسطينوس، ٢٠٠٥، ص٨–٩)، وهذا النص يعبّر عن رؤية اوغسطينوس بأن الله هو مصدر الحقيقة، الحكمة، الخير، والجمال، وأن المعرفة والسعادة الحقيقية تتحقق فقط بنوره الداخلي الذي يضيء النفس والعقل، ويرشد الإنسان ويحفظه في طريق العودة إليه.

المطلب الثاني: الشك والمعرفة

يعتبر اوغسطينوس أن الشك بداية الوصول إلى اليقين، إذ أن الإنسان عندما يشك فإنه يدرك أنه يفكر، وهذا دليل على وجوده.

تمتع اوغسطينوس في البداية بروح الشك حين مغادرته وطنه إلى روما؛ لكن هذا الشك لا يتفق مع طبيعته من حيث أنَّها طبيعة إيجابية تنشد الحقيقة بأيِّ ثمنٍ ولذلك عَزِمَ أن يخرجَ عن الشَّكِ حيث اعتقد أنَّ المعارفَ الحسية لا يمكن أن تؤدي إلى المعرفة الحقيقية وذلك راجع الحجج التي أدى بها الشكاك (محمد، ٢٠١١، ص٢٤).

فيتناول اوغسطينوس مسألة الشك والمعرفة من خلال اعتباره الشك نقطة انطلاق نحو اليقين، لا موقفًا نهائيًا، إذ يرى أن اختلاف الناس في الإدراكات الحسية والأحكام لا ينفي إمكانية المعرفة، بل يكشف عن حقيقة يقينية تتمثل في اتفاقهم على الشك ذاته، مما يدل على وجود ذات مفكرة، ومن هنا يجعل اوغسطينوس معرفة النفس أساسًا لإثبات إمكان المعرفة، معتمدًا على منهج حدسي يقود إلى إدراك الحقيقة (بدوي، ١٩٧٩، ص٢٣).

يرى اوغسطينوس في كتاب الاعترافات أن معرفة النفس والاعتراف أمام الله تشكل أساس المعرفة اليقينية، إذ يبدأ الإنسان بالوعي الداخلي والاعتراف الذاتي، وهو ما يجعل الشك نقطة انطلاق نحو الفهم الحقيقي والحق الإلهي فيقول" سأعرفك كما تعرفني أنت نفسك" (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٢٩٧).

يرى اوغسطينوس أن العقل البشري قادر على الوصول إلى معرفة يقينية رغم مذهب الشك، إذ توجد حقائق عقلية مطلقة مثل قوانين المنطق والرياضيات، لا يمكن التشكيك فيها، وأبرز هذه اليقينات هو وجود الذات، فالشخص الذي يشك يعلم يقينًا أنه يفكر وأنه موجود، لأن غير الموجود لا يمكن أن يفكر، ويشير اوغسطينوس إلى أن الوصول إلى هذه اليقينيات يكون بالحدس المباشر والشعور الداخلي، وليس بالاستدلال العقلي غير المباشر، مما يجعل الذات نقطة البداية للمعرفة بدلاً من العالم الخارجي. وقد سبق بهذه الفكرة ديكارت في تأمل الذات، كما تأثر بها الغزالي، وانطلاقًا من ذلك، نقد اوغسطينوس مذهب الشك لإثبات إمكان المعرفة اليقينية، وهو ما يشكل الأساس الفلسفي للعقيدة الكاثوليكية، حيث يوفر قدرة على الفهم العقلاني للعقائد الدينية وتمييز الإيمان الراسخ عن الإيمان الساذج (عويضة، ١٩٩٣، ص٤٦–٤٧).

وحتى في العالم المليء بالشكوك، اوغسطينوس يرى أن وجود الإنسان وتفكيره هما يقين لا غبار عليه، وأن الإنسان قادر على التفكير والفهم ومواجهة المشاكل الدينية والسياسية والفكرية، وهذا هو جوهر فلسفته (ديورانت، د.ت.، ص١٤٠).

المطلب الثالث: أدلة وجود الله

يؤكد اوغسطينوس أنه لم يشك يومًا في وجود الله، إذ كان واضحًا جدًا للضمير والفكر، ولا ينكره إلا بدافع الأهواء. ويشير إلى أن العالم بما فيه من قوة وجمال وتنظيم عجيب يدل على أنه مخلوق، ولا يمكن أن توجد هذه القوة بذاتها. فالسماء والأرض المتغيرتان تعلنان أن وجودهما مخلوق، ما يثبت وجود الله كمصدر ثابت وعظيم لكل الموجودات (كرم، د.ت.، ص٣٣).

يؤكد اوغسطينوس في الاعترافات أن التأمل في الكون والطبيعة البشرية يقود إلى يقين بوجود الله. فالنظام والجمال في كل شيء، إضافة إلى إدراك الإنسان لذاته ووعيه بالحقائق، لا يمكن تفسيرهما إلا بوجود كائن أزلي ثابت، هو الله، خالق كل الموجودات (أوغسطينوس، ٢٠١٢، ص٣٠٤)، اذ ينتقد اوغسطينوس الآلهة الوثنية الصغيرة والكبيرة، موضحًا أن تقسيم الوظائف بينهم يؤدي إلى تناقضات منطقية واستحالة إدارة شؤون المملكة. ويشير إلى الأساطير المعقدة حول جوبيتر وجونو ونبتون وبلوتو، مؤكّدًا أن هذه الآلهة لا يمكن أن تكون مسؤولة عن استمرار الدولة أو قوتها. وبذلك يبرهن على أن القوة والشرعية الحقيقية تعود فقط إلى الإله الواحد الحقيقي، لا إلى تلك الآلهة الوثني (أوغسطينوس، د.ت.، ج. ١، ص١٧٩–١٨٠).

صياغة ادلة وجود الله- بحسب رؤية اوغسطينوس:

١-دليل الاشراق: الإشراق الإلهي عند القديس اوغسطينوس هو وسيلة العقل البشري لإدراك الحقائق الأزلية والثابتة، التي لا تستطيع الحواس إدراكها بسبب تغيرها المستمر. فالعقل يحتاج إلى نور الله الداخلي ليتمكن من فهم المعقولات والتمييز بين الظواهر العابرة والمعرفة الثابتة، ما يربطه بالله كمصدر لكل يقين وحقيقة، فتؤكد فلسفة المعرفة عند القديس اوغسطينوس على حدود الحواس في إدراك الحقيقة، حيث يرى أنه لا يمكن للإنسان أن يصل إلى حقيقة أصيلة عن طريق حواس الجسم وحدها، ومن هنا ينبثق التحذير الاوغسطينوسي المتمثل في أن الاعتماد على الحواس لا يفضي إلى اليقين المعرفي، بل يستدعي توظيف العقل والقدرة على التأمل للوصول إلى المعرفة الأصيلة والثابتة، ويشكل هذا الموقف أساساً لفهم العلاقة بين الحس والعقل، وبين الظواهر المادية والمعقولات الأزلية في الفكر الاوغسطينوسي (جلسون، ١٩٩٦، ص٢٩٤)، فتحصيل المعرفة لا يتم عبر الحواس وحدها بسبب تغير الواقع المحسوس، فاليقين يتحقق بالعقل الذي يحكم على ما تنقله الحواس، ويُدرك به حدود الحواس ويصل إلى الحقائق الثابتة "فنحن ندرك كل موضوعات الإدراك إما بحواس الجسم أو بالنفس، فالموضوعات الأولى محسوسة، والثانية معقولة، وبلغة آباء الكنيسة، الموضوعات الأولى جسدية، أما الثانية فهي روحية (حنفي، ١٩٧٨، ص٩٢).

يرى اوغسطينوس أن العقل هو الأداة الأساسية للتمييز بين الحواس ومعطياتها والأشياء ذاتها، حيث تتجاوز المعرفة العقلية حدود المعرفة الحسية نظرًا لقدرة العقل على الحكم والتمييز وإدراك المعقولات. وبهذا، ينتقل نظام المعرفة الاوغسطيني تدريجيًا من الاعتماد على الحواس إلى العقل، الذي يشكل محور الوصول إلى الحقيقة واليقين. ويستدعي هذا الانتقال تدخل الإشراق الإلهي، الذي يوفّر للإنسان إمكانية إدراك الحقائق الأزلية، فلا يقتصر دوره على فهم الحقيقة فحسب، بل يمتد أيضًا لتحقيق السعادة والتكامل الروحي" فالمعرفة الحق هي معرفة الحقائق الأبوية من المعلم الداخلي، وأساس هذه الحقائق وجود الله، يكشف الله عن نفسه داخل الفرد وتتم لهذا الأخير معرفته به وفي هذه المعرفة كذلك توجد السعادة الحقيقية بعد ان يغمر النور الداخلي النفس بالفرح والنشوة (حنفي، ١٩٧٨، ص٢٧–٢٨).

٢-دليل العلة الفاعلة

تُعدّ إشكالية العلّة الفاعلة من المواضيع المحورية في الفلسفة واللاهوت، وقد تناولها الفلاسفة بطرق مختلفة. فقد قدّم أرسطو تفسيرًا فلسفيًا للعلة الفاعلة باعتبارها السبب الذي يُحدث الأشياء في الطبيعة، مرتبطًا بالمادة والحركة والتغير. أما اوغسطينوس، فقد تناول العلّة الفاعلة من منظور لاهوتي، إذ جعل الله المصدر الأول لكل وجود، والخالق لكل ما هو موجود بأمره وإرادته، لا يحتاج إلى مادة مسبقة ولا يخضع للزمان أو المكان، ومن هنا يظهر الفرق الجوهر بين التفسير الفلسفي والعلمي عند أرسطو، والتفسير الإلهي المطلق عند اوغسطينوس، مما يعكس انتقال النقاش من الفلسفة الطبيعية إلى الفكر اللاهوتي المسيحي، فقد قسم أرسطو العلل على أربعة أقسام، هي "العلة الفاعلية، العلة الغائية، العلة الصورية، العلة المادية" (صليبيا، ١٩٨٩، ص٧٣).

في حين يعتقد أرسطو أ ن العلل الصورية والغائية تدخل في الحكم الماهوي؛ أما الفاعلة والمادية فهي تدخل في حكم الوجود (ري وأرمسون، ٢٠١٣، ص٢٣).

اما اوغسطينوس فيرى أن الله هو العلة الفاعلة الأولى لجميع الموجودات، إذ يصدر عنها وجود العالم بأسره. ويظهر ذلك بوضوح في مدينة الله، حيث يؤكد أن الخلق يتم بأمر إلهي مباشر، كما في قوله: "لأنّه قال فخُلِق كلّ شيء، وأمر فخُلِقَت" (أوغسطينوس، د.ت.، ج٢، ص١٦)، وهو ما يدل على أن وجود الأشياء يتحقق بإرادة الله دون وساطة واوغسطينوس لم يقدّم العلّة الفاعلة بالطريقة التي صاغها أرسطو، أي كسبب طبيعي ضمن حركة المادة، بل تناولها من منظور لاهوتي وفلسفي إيماني.

يؤكد اوغسطينوس في كتابه "مدينة الله" أن الله هو العلة الفاعلة الأولى لكل الموجودات، فكل ما في العالم – من السماء والأرض إلى الملائكة وكل المخلوقات صادر عن إرادة الله مباشرة ومن العدم ويشير ايضا اوغسطينوس إلى أن البشر لا يستطيعون إدراك الخلق بالحواس وحدها، لذلك تعتمد معرفتهم على الوحي وشهادة الأنبياء والملائكة، كما جاء في الكتاب المقدس "في البدء خلق الله السماوات والأرض" وبذلك، يكون الفعل الإلهي عند اوغسطينوس مطلقًا ومستقلاً عن المادة والزمن، مختلفًا عن رأي أرسطو الذي يربط العلّة بالحركة والمادة ضمن الطبيعة (أوغسطينوس، د.ت.، ج. ٢، ص٨–٩)، ويترتب على هذا أن كل الموجودات تعتمد على الله كمصدرها الأول، وهو الضامن لكل الخير والوجود، العالم لا يمكن أن يكون من ذاته وجود العالم، جماله، قوته ونظامه الدقيق لا يمكن أن يكون صدفة أو من ذاته، هذا يبرز ضرورة وجود فاعل عليا يُفسر وجود كل شيء، وهو الله.

٢- الحقائق العقلية أزلية ولا يخلقها الإنسان العقل يكتشف الحقائق، لكنه لا يختلقها، الحقائق الضرورية والثابتة تتطلب علة عليا: الله هو مصدرها، ويُلهم العقل الإدراك من خلال الإشراق الإلهي الداخلي (Divine Illumination).

٣ الله كفاعل أول – الخلق من العدم اوغسطينوس رفض فكرة أن العالم قديم أو صادر بالضرورة الله خلق العالم من العدم مرة واحدة بإرادته الحرة، أي أنه الفعل الأول والفاعل الأعلى لكل ما يوجد.

٤-وحدة وبساطة الله: الله واحد وبسيط وكامل بذاته، بلا أجزاء أو تغيرات، أي صفة تُنسب لله هي عين ذاته، مما يؤكد كماله المطلق كـ العلة الفاعلة العليا (عويضة، ١٩٩٣، ص٤٣–٤٤).

يؤكد اوغسطينوس أن الحقائق الثابتة لا تنشأ من الأشياء ولا تكشفها الحواس، إذ إن الأشياء متغيرة باستمرار، وما هو متغير لا يمكن أن يمنح معرفة دائمة. وعلى الرغم من أن الحقائق الرياضية قد تستمد في بداياتها من الأشياء الحسية، فإن قوانينها وتركيباتها مستقلة عن هذا التغير. وبما أن الإنسان نفسه

متغير وغير ثابت، فهو عاجز عن إنتاج هذه الحقائق بنفسه. ومن هنا، يلزم البحث عن مصدر هذه الحقائق خارج العقل البشري. ونظرًا لأن هذه الحقائق مشتركة بين العقول الفردية وليست من نتاجها، فإن هذا يشير إلى وجود كائن ثابت وضروري وخالد، وهو الله (زيعور، ١٩٨٣، ص١٤٦).

الخاتمة

يتبيّن أن تجربة أوغسطينوس تمثّل واحدة من أعمق التجارب الفكرية والدينية في تاريخ الفلسفة، إذ جسّدت مسارًا متدرّجًا من الشك والاضطراب إلى اليقين والإيمان، وقد كشفت هذه الدراسة عن أن التحولات الفكرية التي مرّ بها لم تكن مجرد انتقالات عابرة، بل كانت محطات أساسية أسهمت في بناء رؤيته الفلسفية واللاهوتية المتكاملة.

كما أظهر البحث أن أوغسطينوس استطاع أن يقدّم معالجة فلسفية متميزة لقضايا العناية الإلهية، ومشكلة الخير والشر، من خلال ربطها بحرية الإنسان ومسؤوليته، مؤكدًا أن الشر ليس وجودًا مستقلًا، بل هو نقص في الخير. وقد ساعده في ذلك تأثره ببعض التيارات الفلسفية، ولا سيما الأفلاطونية المحدثة، التي أسهمت في بلورة تصوره عن المعرفة والوجود.

وقد بيّنت الدراسة كذلك أن نظرية الإشراق عند أوغسطينوس تمثّل ركيزة أساسية في فهمه للمعرفة، حيث أكّد أن العقل الإنساني لا يستطيع إدراك الحقائق الأزلية إلا بنور إلهي يفيض عليه، كما قدّم عددًا من الأدلة التي سعى من خلالها إلى إثبات وجود الله، مستندًا إلى اليقين الداخلي والحقائق العقلية الثابتة.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن القول إن فكر أوغسطينوس يمثّل محاولة عميقة للتوفيق بين العقل والإيمان، وقد أسهم بشكل كبير في تشكيل معالم الفكر الفلسفي والديني، ولا تزال آراؤه محل دراسة واهتمام في مختلف الأوساط العلمية.

**أولاً: النتائج**

توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج، من أبرزها:

١. أن تجربة أوغسطينوس تمثّل نموذجًا متكاملًا للتحول الفكري والروحي من الشك إلى اليقين.

٢. أن التحولات الفكرية التي مرّ بها، ولا سيما تأثره بالمانوية والأفلاطونية المحدثة، كان لها دور أساسي في بناء رؤيته الفلسفية.

٣. أن أوغسطينوس قدّم تفسيرًا متميزًا لمشكلة الخير والشر، قائمًا على أن الشر ليس وجودًا قائمًا بذاته، بل هو نقص في الخير.

٤. أن نظرية الإشراق تُعدّ من أهم أسس المعرفة لديه، إذ يرى أن إدراك الحقائق الأزلية يتم بنور إلهي.

٥. أن فكره يمثّل محاولة ناجحة للتوفيق بين العقل والإيمان، مما جعله من أبرز مفكري الفلسفة الدينية.

**ثانياً: التوصيات**

توصي الباحثة بما يأتي:

١. ضرورة الاهتمام بدراسة فكر أوغسطينوس لما له من أهمية في الفلسفة الدينية.

٢. التوسع في دراسة العلاقة بين الفلسفة والدين من خلال نماذج فكرية مشابهة.

٣. الإفادة من منهجه في معالجة القضايا الوجودية، خاصة ما يتعلق بالخير والشر والعناية الإلهية.

٤. تشجيع الدراسات المقارنة بين فكر أوغسطينوس وغيره من الفلاسفة في الأديان المختلفة.

**قائمة المصادر والمراجع**


- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. (د.ت.). لسان العرب. دار صادر.
- أوغسطينوس. (د.ت.). مدينة الله (يوحنا الحلو، ترجمة؛ ط. ٢). دار المشرق.
- أوغسطينوس. (٢٠٠٥). محاورة الذات (يوحنا الحلو، ترجمة؛ ط. ١). دار المشرق.
- أوغسطينوس. (٢٠١٢). الاعترافات (إبراهيم الغربي، نقل؛ محمد الشاوش، مراجعة؛ ط. ٢). دار التنوير؛ بيت الحكمة.
- بدوي، عبدالرحمن. (١٩٦٩). فلسفة العصور الوسطى (ط. ٢). مكتبة النهضة المصرية.
- بدوي، عبدالرحمن. (١٩٧٩). فلسفة العصور الوسطى (ط. ٣). دار القلم.
- بدوي، عبدالرحمن. (١٩٨٤). الموسوعة الفلسفية (ج. ١؛ ط. ١). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- التلوع، أبو بكر إبراهيم. (١٩٩٥). الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. جامعة قاريونس.
- جلسون، إتيان. (١٩٩٦). روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة؛ ط. ٣). مكتبة مدبولي.
- الحلاق، ثائر علي. (٢٠١٤). العناية الإلهية ومشكلة الشرق الشرقي في الفكر الفلسفي (ط. ١). دار النوادر.
- حنفي، حسن. (١٩٧٨). نماذج من الفلسفة المسيحية (ط. ٢). مكتبة الأنجلو المصرية.
- ديورانت، ويل. (د.ت.). قصة الحضارة (محمد بدران، ترجمة؛ ج. ١ من المجلد الرابع).
- ري، جوناثان، وأرمسون، ج. أو. (٢٠١٣). الموسوعة الفلسفية المختصرة (فؤاد كامل، وجلال العشري، وعبد الرشيد الصادق، ترجمة؛ زكي نجيب محمود، مراجعة؛ ط. ١). المركز القومي للترجمة.
- محمد، زينة علي كاظم. (٢٠١١). الميتافيزيقيا وأصولها في فلسفة القديس أوغسطينوس [رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية].
- زيعور، علي. (١٩٨٣). أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة (ط. ١). دار اقرأ.
- سعيد، جلال الدين. (د.ت.). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية. دار الجنوب.
- صبحي، أحمد محمود. (١٩٧٥). في فلسفة التاريخ (ط. ١). مؤسسة الثقافة الجامعية.
- صليبيا، جميل. (د.ت.). المعجم الفلسفي (ج. ١؛ ط. ١). دار الكتاب اللبناني.
- صليبيا، جميل. (١٩٨٩). تاريخ الفلسفة العربية. الشركة العالمية للكتاب.
- طرابيشي، جورج. (٢٠٠٦). معجم الفلاسفة (ط. ٣). دار الطليعة.
- عويضة، كامل محمد. (١٩٩٣). أوغسطينوس فيلسوف العصور الوسطى (ط. ١). دار الكتب العلمية.
- كحول، سعودي. (٢٠٢١). الشر الأخلاقي عند القديس أوغسطينوس: من الوجود إلى اللاوجود. مجلة مينيرفا، ٥(٢).
- كرم، يوسف. (د.ت.). تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط. مؤسسة هنداوي.
- ماثيوز، جاريث ب. (٢٠١٣). أوغسطينوس (أيمن فؤاد زهري، ترجمة؛ ط. ١). آفاق للنشر والتوزيع.
- محمد، مسلم حسن. (٢٠١٣). البناء الفلسفي للمجتمع الفاضل. مجلة الفايفة، (١٠).
- مزواد، نسيبة. (٢٠١٢). فلسفة الحضارة عند القديس أوغسطين [رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر].
- المشرفي، محمد محيي الدين. (د.ت.). أفريقيا الشمالية في العصر القديم (ط. ١). دار نشر الكتب العربية.
- نغرين، جيوواید. (١٩٩٥). ماني والمانوية (سهيل زكار، ترجمة؛ ط. ١). دار حسان.
- اليحياوي، ياسين. (٢٠١٥، أبريل). الخطيئة الأصلية في فكر أوغسطين. الدراسات الدينية، (٢).